

سورة التكوير

هذه السورة العظيمة تهدف إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تقرير عقيدة اليوم الآخر .

الأمر الثاني: تقرير أن القرآن كلام الله .

الأمر الثالث: تقرير المسؤولية البشرية .

يسمي العلماء هذه السورة (سورة التكوير) ، وقد سماها النبي ﷺ ، بأول جملة فيها (إذا الشمس كورت)، فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي قال ﷺ " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ أُنشَقَّت﴾ " رواه الترمذي^(١). وهذه السور الثلاث متشابهة في مقاصدها، وفي نظمها .

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ ٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤﴾ فَلَا أَقِيمُ بِالْخُنُوسِ ١٥﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١﴾: استهلَّ اللهُ سبحانه وتعالى هذه السورة بأداة الشرط (إذا)، واتبعتها بعدة

جمل للوصول إلى جواب الشرط. وقد لفت الله تعالى انتباه المخاطبين، من المشركين، الذين يعانون من بلاغة التفكير، وعدم الاعتبار بالآيات الكونية، إلى آية باهرة، يرونها كل يوم؛ وهي الشمس التي تطلع عليهم كل صباح، وتغيب عنهم كل مساء. لقد بات هذا المشهد العظيم في حس كثير من الناس منظرًا مألوفًا، ولكن الله سبحانه وتعالى يبين أن هذه الصورة المتكررة، وهذا المنظر المألوف، لن يدوم، وأنه سيأتي عليه وقت يختلف عما هو عليه! ولا ريب أن هذا من دواعي هز النفس من أركانها؛ أن يقال إن هذه الشمس، التي تراها صبيحة كل يوم، يطلع قرنها من جهة المشرق، ثم تراها عشية كل يوم، يسقط قرنها في جهة المغرب، أنها في يوم من الأيام تكور! فقال ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: لهذه اللفظة أربعة معاني عند المفسرين: فمنهم من قال: ﴿كُوِّرَتْ﴾ ذهب، وزالت. فهذه الشمس المرئية التي لا تخطئها العين،

(١) سنن الترمذي (333)، وأحمد في المسند (4806) وصححه الألباني .

والتي مجال عليها في تحقيق الخبر، فيقول الناس: "كالشمس في رابعة النهار"، وكما في الأثر (على مثلها فأشهد أودع)^(٢)، تذهب. وقيل في معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ أي ذهب ضوئها، وأظلمت، بعد أن كانت نيرة مشعة. وقيل: رميت، وألقيت. وقيل: جمعت، ولفت، كما تلف العمامة.

وهذه المعاني الأربعة لا تعارض بينها؛ وذلك أن الشمس مخلوق عظيم، يعترها يوم القيامة من الحوادث أحوال عديدة، فيبتدئ الحال بأن تجمع هذه الشمس بعضها على بعض، وتلف، وبعد لفها يذهب ضوئها، وينقبض، وينحسر، ثم بعد ذلك، يذهب بها، فتزال عن موضعها، ثم يرمى بها، فيكون مستقرها أن تلقى في النار، إذ أنها من طبيعة النار؛ فإن الشمس، كما هو معروف عند علماء الفلك، جسم ناري، ملتهب، حتى إن الفلكيين يقولون إنه يجري على سطح الشمس من الانفجارات الهائلة، ما يعادل ملايين الانفجارات النووية. فهي جسم ملتهب، متقد، ولذلك يصلنا القدر الذي يكفيننا من ضوئها، ودفئها. وبهذا تجتمع المعاني الأربعة للفظ الكوير، دون تعارض.

هذا هو المشهد الأول، ولا شك أن تحول المناظر المألوفة، مما يبعث على الفزع، فإن الشيء المستقر الراتب إذا تغير يبعث على الفزع، ويحرك القلوب الراكدة.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ^(٢) : النجوم هي تلك النقاط التي نراها في قبة السماء، ليلا يبعث الضوء، وتبدو لنا صغيرة، وإن كان أهل الفلك يقولون إنها شمس كبيرة، جبارة، ولكن لبعدها مسافات، التي تقاس بالسنين الضوئية، تبدو لنا كالنقط. وللمفسرين في معنى ﴿انْكَدَرَتْ﴾ أقوال: فمنهم من قال: إن معنى ﴿انْكَدَرَتْ﴾ تناثرت، وتساقطت، وتهافتت، شذر مذر، وهذا أيضاً أمر يدعو للفزع؛ فإن الإنسان إذا رأى الشهب، والنيازك، تتقاذف في السماء أصابه روع، ولو وقع شيء منها على الأرض، أحرقه، أو ترك فيها أثراً، وحفرأ، يجده الناس في أحياناً الصحاري، فكيف إذا كانت هذه النجوم، التي تعد بالملايين، يجري لها هذا الأمر؟! ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى في السورة التالية: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ^(١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ^(٢) [الانفطار ٢-٢] فهذا من الانتثار. وقيل في معنى ﴿انْكَدَرَتْ﴾:

^(٢) حلية الأولياء (18/4) والحاكم في المستدرک (7045)، البيهقي في شعب الإيمان (10974)، وإسناده ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في البلوغ: (290/1) صححه الحاكم فأخطأ.

تغير لونها، فإن الكدرة هي تغير اللون، بحيث يجبو البريق، ويذهب الوهج. وهذا أيضاً حاصل؛ فإنها تسلب لمعانها، وبريقها الذي هي عليه في الدنيا. إذاً هذا مظهر آخر من مظاهر القيامة.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾: هذه الجبال الرواسي، الشاخات، التي يضرب بها المثل في الثبات، تزول

عن أماكنها، ويسيرها الله، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴿٦﴾﴾

[النمل: ٨٨]. وهذا هو أحد أحوال الجبال يوم القيامة، وهو حال التسيير؛ بأن تزول من أماكنها، التي

كانت قد ثبتت، وأرسيت فيها، فتسير سيراً عجيباً. ثم يتلو هذا التسيير مرحلة النسف، كما قال الله

تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾. ويتلو هذا الحال مرحلة البس، والدق،

حتى تعود هباءً منبثاً، كما قال الله ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة:-

٦]. فينبغي أن تجمع الآيات في القضية الواحدة، ليكتمل فهمها، فلا يقال إن هذا يعارض هذا، بل

يقال: إن يوم القيامة يوم طويل، تحصل فيه هذه الأحداث المتنوعة، وتتوالى.

﴿وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾: الناقة العُشراء، أي التي بلغت الشهر العاشر في حملها، وصارت على

وشك الوضع. والنوق كانت، ولا تزال، أنفس أموال العرب، فكيف إذا كانت هذه النوق على وشك

الولادة! لا شك أن ثمنها يعلو؛ لأن الذي يملكها يطمع في التناج. ومعنى ﴿عُطِّلَتْ﴾: أهملت،

وتركت بلا راعٍ يراعها، ولا موالٍ يواليها. دفع إلى ذلك هول الموقف.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾: الوحش هو الحيوان غير المستأنس، الذي يعيش في الفلوات. قيل في

معنى ﴿حُشِرَتْ﴾: ماتت، وقيل، وهو الأقرب، أي جمعت؛ لأن الحشير هو الجمع الذي يصاحبه ضيق،

واكتظاظ، كما قال الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴿٢﴾﴾،

فهذه الوحوش التي عاشت على وجه الأرض، مما نرى، ومما لا نرى، ومما انقرض، كلها يوم القيامة

تحشر، وتجمع. ويمكن الجمع بين القولين بأن تجمع أولاً، ثم تموت، بعد ذلك؛ فإنه يقال لها: كوني تراباً

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾: البحار تشمل ما نسميه الآن البحار، والمحيطات، والأنهار، فإن هذا كله

يشمله اسم البحر، قال الله ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

﴿الفرقان: ٥٣﴾ ﴿بَرَزْنَا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٥٣﴾، فالبحر يطلق على مجتمع الماء الكثير. وقد وردت قراءة

بالتشديد، يعني بالتضعيف ﴿سُجِّرَتْ﴾، ووردت بالتخفيف ﴿سُجِرَتْ﴾. والتسجير له عدة معاني، فقيل إن معنى ﴿سُجِرَتْ﴾ أي أوقدت، وأشعلت، وقيل: امتلأت، وفاضت، وقيل: يبست

وكما قلنا في الجبال، وفي الشمس، نقول أيضاً في البحار: إن هذه البحار يعترها أحوال يوم القيامة،

فلعل أول ما يعترها أنها تفجر، كما في السورة التالية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿الانفطار: ٣﴾ أي

فاضت، وامتلأت، فاختلط الماء العذب، بالماء الحلو، وفاضت عن حدها، ووعائها الذي كان

يحفظها، فإن الله سبحانه وتعالى قال ﴿فَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿الفرقان: ٥٣﴾ فهذا البرزخ

يكسر يوم القيامة، ويقع امتلاء وفيضان. ثم يقع بعد ذلك التسجير، بمعنى الإيقاد، والإشعال، كما

قال في السورة الأخرى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ﴾ ﴿الطور: ٦﴾ يعني: الموقد المضطرم ناراً، فيجري إيقاد، وينشأ

عن هذا الإيقاد أن يتبخر هذا الماء، فتببس البحار. فتكون هذه المعاني محمولةً على أحوال مختلفة، فلا

يكون هذا من باب التعارض والتناقض، وإنما من باب التنوع.

هذه الأمور الستة، روي عن أبي ابن كعب، رضي الله عنه (٣)، أنها تقع يوم القيامة، قبل البعث، مقارنة لنفخة

الصعق، وأما ما بعدها، مما سيأتي، فيقع بعد البعث. وإذا أطلق (يوم القيامة) فقد يراد به ما يصاحب

نفخة الصعق، وقد يراد به ما يتلو نفخة البعث؛ لأن النفخ نفختان، كما قال رضي الله عنه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿

[الزمر: ٦٨]، نفخة للصعق، ونفخة للبعث. وأضاف بعض العلماء نفخة ثالثة، وهي نفخة الفرع!

لكن الذي تدل ظاهر عليه الأدلة أنها نفختان.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ﴿٧﴾: هذا يكون بعد البعث. ومعنى ﴿زُوِّجَتْ﴾ أي: قرنت النفوس بالأبدان

التي كانت تعمرها في الدنيا. وقيل: أي قرن الأشباه، والنظائر، بعضها ببعض؛ فاليهودي مع اليهودي،

والنصراني مع النصراني، كما قال الله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢] يعني

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (369/12).

أشكالهم وأشباههم ، فيكون معنى ﴿ زُوِّجَتْ ﴾ يعني قرنت بأشباهاها، وأشكالها. ولعل هذا المعنى

أرجح؛ وذلك أن الله ﷻ، كثيراً ما يذكر التصنيف كما في قوله: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾

[الشورى ٧]، وقال ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾

وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴾ ، فهذا التصنيف، والقرن، هو التزويج المراد بقوله: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ الموءودة: البنت التي يقتلها أبوها في صغرها، إما خشية

العار، وإما خشية الحاجة، أو خشية الأقرنين معاً. فقد كان أهل الجاهلية، والعياذ بالله، يثدنون البنات،

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ

أَيُّمَسِّكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل ٥٨-٥٩]، روى الإمام الدارمي رحمه الله

في مطلع سننه أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةَ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا

نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتُ لِي، فَلَمَّا أَجَابَتْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً بِدُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهَا

، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاتَّبَعْتَنِي، فَمَرَرْتُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَرًّا مِنْ أَهْلِي غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَخَذْتُ بِيَدَيْهَا فَرَدَّيْتُ بِهَا فِي

الْبُئْرِ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ. فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حَتَّىٰ وَكَفَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ،

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - : أَحْزَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ: « كُفَّ، فَإِنَّهُ يُسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ

». ثُمَّ قَالَ لَهُ: « أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ ». فَأَعَادَهُ، فَبَكَى حَتَّىٰ وَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَىٰ حَيْثِيَّتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ

: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ » الدارمي (٤).

كان هذا حالهم، والعياذ بالله، يثدنون البنات؛ لأنهم يخشون العار؛ لما يقع بينهم من الغزو، والسلب،

والنهب، فيخشون أن تؤسر، فتقع في يد عدوه، فيكون عاراً عليه، أو يفعلون ذلك بسبب الفقر، أو

الخوف منه. ولهذا نهاهم ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء ٣١]،

﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾: هذا السؤال من الله ﷻ في ذلك اليوم، ما أثقله، وما أعظمه على ذلك الوائد!

وماذا يكون جواب هذه الموءودة؟ وقد جاء في قراءة ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ على سبيل الخطاب. ولا شك

(٤) سنن الدارمي (2) قال محققه، حسين اسد: مرسل وتفرد بروايته الدارمي.

أنه لا ذنب لها، وإنما الذنب يتحملة هذا الوائد، القاطع. وهذا مما أكرم الله تعالى به المرأة في هذه الشريعة العظيمة، أن حفظها من هذا الهوان وهذا القتل .

﴿ وَإِذَا أُلْحِفُ نُشِرَتْ ﴾ (١٠): المراد بالصحف: صحائف الأعمال، التي يقيد بها الكرام الكاتبون ما يخرج

من الإنسان من خير، أو شر. ومعنى ﴿ نُشِرَتْ ﴾: أي فتحت، وأبرزت، فلا خفاء، ولا سر، بل عدل ظاهر، وحق بين. وهذا من كمال عدل الله ﷻ، واعتبار الشارع بالتوثيق، فكل إنسان يقيد عليه ما طار

منه من عمل، كما قال ﷻ ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْرِهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُجِّجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَنْشُورًا ﴾ (الإسراء: ١٣) يعني ما طار منه من عمل، لأن ما يبدر منك من فعل، أو قول، كالطائر

الذي فر منك، لا سبيل إلى رده، فلذلك سمي طائراً، ومعنى ﴿ مَنْشُورًا ﴾: أي مفتوحاً، كما ها هنا .

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ (١١): هذا مظهر عجيب! هذه السماء التي يسبح الإنسان فيها طرفو يرسله في

أرجائها، ويبحث عن موضع ثقب، ولو كجب الإبرة، فلا يجده! كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (٢) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (٤) [الملك: ٣-٤]، فهي سماء

محكمة، م صرمة، لا يوجد فيها أدنى خلل، في يوم القيامة تكشط، أي: تسلخ كما يسلخ الجلد من

الذيحة، حين يضع الجزار عليها قدمه، أو فيها يده، ويكشط الجلد! قال الله تعالى في الآية الأخرى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] السجل: هو ما تحفظ فيه الكتب،

والمواثيق، يدار، فتخرج فيه الورقة. فهذه السماء تطوى طياً، وعبر ها هنا بالكشط وهو الإزالة . ومن

شواهد ذلك، أن الله تعالى عبر بالتشقق، حيث قال ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ ﴾ [الفرقان: ٢٥] فكل

سما تنفرج وتشقق عن السماء التي فوقها.

ولا ريب أن هذه الأمور أمور غيبية، نفهم منها المعنى العام، المشترك، الذي دلت عليه اللغة، لكننا لا

نحيط بالكيفية. فما دل عليه القرآن من أحوال يوم القيامة، ومن صفات الرب ﷻ، فهو حق على

حقيقته فلا هو كلام أعجمي غير مفهوم، ولا هو حكاية كيفية تتخيلها الأذهان، بل هو إدراك

للمعنى، دون إدراك للكيفية. فنحن إذا قرأنا هذه الآيات المتعلقة باليوم الآخر، أو الآيات المتعلقة

بصفات الرب ﷻ ، ندرك منها بمقتضى الوضع العربي معاني معينة، لكننا لا ندرك الحقائق، والكنه، والكيفيات، ولا شك أن إدراكنا للمعاني كافٍ في حصول الموعدة، والعبرة، والتأثير.

﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ ١٢ ﴿ الجحيم: اسم من أسماء النار، وهي تدل على الجهامة، والظلمة، فهي

سوداء، مظلمة، يحطم بعضها بعضاً. ومعنى قوله: ﴿ سُعِرَتْ ﴾ أي: زيد في إيقادها، وتسعيرها، وإلا فإنها مخلوقة، موجودة، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص، لكنها يوم القيامة تهبُّ لأضيافها، وبئس الأضياف، وبئس النزل .

﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ ١٣ ﴿: روي عن بعض السلف أن الآية ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ ١٢ ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ

﴿ ١٣ ﴿ ، هما مجرى الخطاب، يعني أن كل ما سبق، ذكر للوصول إلى هذا الأمر، أي إلى جحيم تسعر،

أو جنة تزلف. ومعنى (أزلفت): أي: قربت، وأدريت. ولهذا كان من شأن الجنة، أنها تفتح أبوابها

تلقائياً، وأن النار، والعياذ بالله، تفتح فجأة، كما ذكر الله ذلك في آخر سورة الزمر ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر:٧١] وفي هذا صدمة وهول، بينما قال

في الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر:٧٣] كأنها

هناك تهبُّ، واستقبال، وحفاوة مسبقة. نسأل الله من واسع فضله .

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ ١٤ ﴿: هذا جواب الشرط، ذكر بعد ثلاثة عشر جملة من قوله ﴿إِنَّا: (الشمس

كُورَتْ ﴿ ١ ﴿ إلى قوله: ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾، و﴿ نَفْسٌ ﴾: اسم جنس، يعني نفس من النفوس، كما قال

الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا

بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]. ولا ريب أن من مرت به هذه المواقف المقارنة لقيام الساعة، والمواقف

والأحوال التي تتلو البعث، يدرك يقيناً ما هو عليه. وهذا الشوط من الآيات شوط مهول، شوط يهز

القلب من أركانه، وترتجف له النفوس الحية. وتأمل وقع هذه الآيات على قوم ينكرون البعث! فإذا

كان المؤمن الذي علم مسبقاً بهذا الأمر، وتلا السورة، وأمثالها، مراراً، يتأثر قلبه لتكرارها، فما بالك

بهذا الذي قد أعفى نفسه من التفكير في هذه الأمور، وقيل له سيقع كذا وكذا. ف سيجعله ذلك أمام

مفترق طرق، فإما أن يتبع هذا النبي الذي جاء بهذا الحق، وإما أن يختار الأخرى. وهذه مجازفة، ومغامرة .

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: بيان هول يوم القيامة.

الفائدة الثانية: بيان عظيم قدرة الله تعالى؛ فهذا الكون المنتظم، الرتيب، بأفلاكه العلوية، ومخلوقاته السفلية، يُخلفه الله ﷻ، ويغير نمطه.

الفائدة الثالثة: شناعة جريمة الوأد، فقد خصها الله بالذكر في هذا السياق المليء بالآيات الكونية، والأحداث الكبرى.

الفائدة الرابعة: بيان كمال عدل الله .

الفائدة الخامسة: إثبات الجنة والنار، وأنها مخلوقتان .

الفائدة السادسة: إقرار المرء بعمله يوم القيامة .